الباب الأول

التنظير

الفصل الأول:

الأدب والثقافة.

التجسيد الفني في أدب الأطفال.

أهمية أدب الأطفال الإسلامي.

المفهوم والخصائص.

الأدب ومراحل الطفولة.

الفصل الأول

الأدب والثقافة

قد يظن بعض الناس أن الثقافة هي غاية ما يرجى مما يقدم للأطفال من نصوص أدبية، لكن ذلك بمفرده لا يمكن أن يحقق التكامل الفكري المعرفي للطفل في مستواه الإدراكي، كما لا يمكن أن يبني عقله، ويصقل وجدانه، ويهذب مشاعره، ويرقى بها، ويفهمه عقيدته، ويوثق صلته بدينه ليكون أساس تعامله، فنهيئه تهيئة سوية لمواجهة الحياة، والتفاعل مع متغيراتها، والتعامل مع مشكلاتها، ويتغلب على نقائصها، ويتصدى بالحل الناجح لقضاياها، ويتذوق الجمال فيها، ويمارس الفنون ممارسة تزكي من تفاعله وإيجابيته في هذه الحياة، في حدود خبراته ومستواه، لتتجلى إيجابيته كمسلم.

من هنا يمكن أن تكون الثقافة بمفهومها العام الشامل مدخلاً مناسباً لإضاءة ما نبتغيه من أدب الأطفال الإسلامي.

وما أكثر التعريفات التي وضعت لتحديد مفهوم الثقافة، ولعل تعريف إدوارد تايلور Tylor الذي أشار إليه في مفتتح كتابه «الثقافة البدائية» كان ذا تأثير واضح على كثير من التعريفات التي وردت بعده، فقد عرّفها بقوله: «.. ذلك المركب الذي يشتمل على المعرفة والعقائد والفن والأخلاق والقانون والعادات وغيرها من القدرات، والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضواً في مجتمع»[1]، وهكذا

(١) د. عاطف وصفي «الثقافة والشخصية» دار النهضة العربية للطباعة والنشر - بيروت سنة ١٩٨١م صفحة ٨٠، وكذلك انظر هاري شابير «نظرات في الثقافة» ترجمة د. محمد علي =

تتضمن الثقافة كل الأساليب والأفكار والقيم وأنواع السلوك المختلفة وفي مقدمة ذلك مبادىء العقيدة، وهذا المفهوم الفضفاض يباين الفكرة التي تخص بالثقافة مجموعة الصفوة المتميزة بالمعرفة، مما يضيق مفهوم الثقافة، ولقد كان اتساع هذا المفهوم قريناً بفيض من البحوث والدراسات التي أثرى بها علماء الاجتماع هذا المجال.

وهناك من يقسم الثقافة(*) إلى ثلاثة أقسام: «عموميات» تتمثل في أنماط السلوك والجوانب الحتمية كاللغة والأسرة، وأثرهما عظيم في الأطفال وأدبهم، وتكوين عقيدتهم، و«خصوصيات» يشكلها ما يتميز به قطاع معين من قطاعات المجتمع، ومن هنا ينشأ ما يسمى بالثقافة الفرعية، أو النوعية، كثقافة الأطفال مثلاً، أما القسم الثالث فهو «البديلات» وهذه تتسلل إلى الثقافة نتيجة اتصالها بغيرها من الثقافات الأخرى، ويمثل الإسلام بقيمة ركيزة هامة فيما سبق من أقسام.

والثقافة بحكم طبيعتها تنساب كتيار الخليج في تتابع وانتظام مؤثرة في الحياة ومكوناتها، دون أن تراها العيون.

وبرغم أن الثقافة إنسانية وعامة، إذ لا يوجد مجتمع إنساني بدون ثقافة، لكنها في الوقت نفسه تختلف من مجتمع لآخر، بحسب تركيبها وانتظام عناصرها، كما أنها ثابتة ومتغيرة؛ ثابتة بحكم انتقالها من السابقين إلى اللاحقين، ومتغيرة لأن هؤلاء اللاحقين يضيفون إليها ويعدلون فيها، ومن الثوابت التي لا تتغير ويجب الحرص

= العريان ـ دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، يناير سنة ١٩٦١م صفحة ١٥، وكذلك ألفت حقي «ثقافة الطفل» مجلة عالم الفكر ـ الكويت المجلد العاشر العدد الثالث ـ اكتوبر نوفمبر ديسمبر سنة ١٩٧٥م صفحة ٥٤.

وانظر د. سيد عويس «دور الأسرة في تكوين ثقافة الطفل» الندوة الدولية لكتاب الطفل سنة ١٩٨٧م ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٨٩م.

(*) من تعريفات الثقافة أيضاً أنها «تجريد»، وأنها «تجريد مأخوذ من السلوك الإنساني الملاحظ حسياً ولكنها ليست هي ذلك السلوك» (الثقافة والشخصية).

عليها العقائد الإسلامية.

وليس معنى أن ثقافة الأطفال ثقافة نوعية، أنها منفصلة عن الثقافة العامة للمجتمع، فهي جزء منها، وتشترك معها في بعض الخصائص، لا سيما عندما يولي المجتمع أهمية كبيرة لقيمة معينة، فإنها تظهر في ثقافة الأطفال، نتيجة حرص الكبار على تشكيلها بم يتلاءم مع قيم المجتمع وأهدافه، خاصة قيم الدين الإسلامي.

وفي الوقت نفسه فإن ثقافة الأطفال تنفرد بخصائص أخرى[٢] منها، قيم ومعايير وعادات، وطرق خاصة في اللعب، والتصرفات والاتجاهات، والمواقف والانفعالات، والأزياء، وغير ذلك مما يشكل ثقافة الأطفال وخصوصية عناصرها وانتظامها البنائي، ومن ثم فهي ليست تبسيطاً للثقافة العامة في المجتمع برغم العلاقات الوثيقة بينهما.

وليس جمهور الأطفال متجانساً، فهم مختلفون في أطوار نموهم الجسمي، والعوامل الفاعلة في هذه الأطوار؛ من بيئة وثقافة وخصائص ذاتية وغيرها، لذلك فقد قسمت مرحلة الطفولة إلى أطوار متعاقبة بناء على ذلك؛ هي الميلاد، والطفولة المبكرة، والطفولة المتوسطة، والطفولة المتأخرة، وفي كل طور من هذه الأطوار، تختلف خصائص وحاجات الأطفال وكيفية إشباعها، كما تتباين طبيعة علاقاتهم بمن حولهم من مستوى الاعتماد على غيرهم، إلى شيء من الاستقلال ومحاولة الاعتماد على النفس، كما تختلف محصلتهم اللغوية.. وهكذا، تختلف ثقافاتهم في خصوصيات لصيقة بكل طور، بحيث يمكن أن تشكل ثقافات فرعية، برغم ما يمكن أن يكون مشتركاً بينهم من خصائص عامة تميز جانباً من ثقافة الأطفال أو

---

(٢) د. هادي نعمان الهيتي «ثقافة الأطفال» سلسلة عالم المعرفة ـ العدد ١٢٣ رجب سنة ١٤٠٨هـ ـ مارس سنة ١٩٨٨م، يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ص٣٠.

عمومياتها[٣]، وتمثل قيم الدين الإسلامي كما أشرت ركيزة هامة في هذا المجال.

وإذا كان الأدب بصفة عامة عنصراً من عناصر الثقافة، فسوف نجد أن أدب الأطفال الإسلامي متنوع المستويات، بناء على ما سبق، فالقصة التي قد تكون مناسبة لمرحلة الطفولة المتأخرة قد تكون غير ملائمة لمرحلة الطفولة المبكرة، من حيث تركيب حدثها مثلاً، والتمثيلية التي تناسب مرحلة الطفولة المبكرة قد لا تشبع حاجات مرحلة الطفولة المتأخرة وهكذا.

وبرغم أن الأدب لون من ألوان الاتصال ونقل المعاني من طرف إلى آخر، لكنه اتصال قوامه الفنية والتجسيد.

وإذا كان الإبداع بعامة عنصراً من عناصر الثقافة ومكوناتها، فالأدب في الوقت نفسه تجسيد لهذه الثقافة بواسطة اللغة، فهو «تشكيل أو تصوير تخيلي للحياة والفكر والوجدان من خلال أبنية لغوية»؛ ففنون الأدب المختلفة تحمل مضمونات مجسدة فنياً خاصة التمسك بقيم الدين الإسلامي، ولهذا كان تأثيرها في الناس قوياً، وذلك مما يجلي أثر الثقافة ـ والأدب بصفة خاصة ـ في المتلقي طفلاً كان أم راشداً[٤].

وثمة وسائل تضاعف من أثر اللغة المجسّدة، وتثري فاعليتها في جذب اهتمام الطفل، وخلق استمرارية اتصاله بالعمل الأدبي، وتشكل حوافز لإثارة اهتمامه به[٥]، منها الصورة والصوت واللون والرسم والحركة، وغير ذلك من الوسائل التي تزيد الفكرة دقة وجلاء وتجسيداً، فهي لغة أخرى غير اللغة المتعارف عليها، لكنها غير كلامية، وتضاعف من أثر اللغة اللفظية عند الإنسان بصفة عامة، والطفل بصفة

---

(٣) انظر السابق نفسه صفحة ٣١.

(٤) انظر د. هادي نعمان الهيتي «ثقافة الأطفال» عالم المعرفة ـ العدد ١٢٣ رجب سنة ١٤٠٨هـ، مارس سنة ١٩٨٨م صفحة ١٥٥، ١٣٣.

(٥) السابق نفسه صفحة ١١٥.

خاصة، لأنه بحكم تكوينه، ومستواه العمري والعقلي أكثر احتياجاً لهذه الوسائل، التي تضيء له القضايا، وتقرب له المفهومات وتساعده على صقل مواهبه وتنميتها.

ومن وظائف التجسيد الفني[٦] في أدب الأطفال:

١ـ أنه يتيح للعمليات العقلية المعرفية أن تؤدي دورها في إثراء الفكر وإمتاع الوجدان، لا سيما عند الأطفال الذين هم أشد استجابة لعناصر التجسيد اللغوية وغير اللغوية، ما دامت في مستوى خبراتهم، فيستطيعون بفضل هذه العناصر استعادة خبرات سابقة، تتصل وتتفاعل مع الخبرات اللاحقة للإسهام في بناء الطفل الفكري والنفسي.

٢ـ كما يستطيع الطفل بفضل التجسيد والعوامل المثرية له أن يتخيل «صوراً جديدة مركبة» تجعل إدراكه للمعنى أكثر دقة، وفهمه أكثر عمقاً، واستيعابه أشد إلماماً وإحاطة.

٣ـ أنه يجذب انتباه الطفل ويهيئه لاستقبال الرسالة المجسَّدة فنياً، فتحل في مركز شعوره، مما يدعم عملية الاتصال الثقافي، ويثري فاعلية العمل الأدبي بالنسبة للطفل المتلقي، وبذلك تتجاوز عملية الاتصال طريقة التلقين بعيوبها التقليدية المعوقة، فيتوحد الطفل مع المواقف التي يشكلها المضمون، دون تقريرية أو قسر، وذلك من أنسب الوسائل لتقديم وغرس كثير من مبادىء الإسلام في الطفل، كحبه لله تعالى ولرسوله الكريم ليُقْبِل على هذه المبادىء برضا واقتناع.

٤ـ ويستطيع التجسيد الفني أن يقرب المعنويات في صورة محسوسة سواء تم ذلك عن طريق اللغة أو الوسائل المعينة، مما يقرب كثيراً من المفهومات المعنوية والمجردة إلى أذهان الأطفال، كالشجاعة والحب، والإيثار والتعاون، والوفاء ورد الجميل، وغير ذلك من المبادىء والقيم التي تزخر بها التعاليم الدينية الإسلامية.

---

(٦) السابق نفسه من صفحة ١١٥ إلى صفحة ١٢٠.

٥ـ ولا شك أن نطق الكلمة في حد ذاته قوة مؤثرة بما له من وقع وإيقاع يستثير المشاعر، ويؤثر في السلوك الإنساني، لا سيما عندما تشكل الكلمة لبنة في سياق أو نسق فني، مما يثري دلالتها ويضاعف من إشباع معناها في هذا السياق، بالإضافة إلى أن الصوت عندما تستقبله حاسة السمع يستثير «صوراً ذهنية، من خلال قيام العقل بواحدة أو أكثر من العمليات المعرفية».

٦ـ ولا شك أن مصاحبة الألوان أو الصور أو الرسوم أو الحركات للكلمات، في الفنون الأدبية المختلفة، مما يستثير اهتمام الأطفال، ويجعلهم يعنون بالتفصيلات، كما أن الصور تنطبع في أذهانهم، وبها يغنى النص، ويتضاعف إيحاؤه[٧]، وذلك كلما كانت الصور أكثر اتصالاً بحياتهم.

«ويحقق الكتاب المصور التوازن العادل بين النص والصورة، إذ يدعم كلاهما الآخر، بالإضافة إلى أن التعليم والتمتع بالصور جزء من القصة.. بل إن الأطفال قد يستطيعون قراءة معنى الصور بدون أية كلمات، كما يعين تصوير الأفكار الأطفال على إعادة صنع ما اختزنوه من صور، وبعض الكتب المصورة تقود لموضوعات الفن وكتب الأطفال في مستوياتها المختلفة وتفسيراتها»[٨].

والحركات لون من الحياة ينضاف إلى الكلمات والصور فيجعلها أكثر تأثيراً وجذباً للانتباه[٩]، «إذ تنقله إلى عوالم لذيذة ساحرة تأخذ بلبه الغض، عندما تتحول الكلمات والأحداث الجامدة إلى حكايات ومغامرات حية ناطقة متحركة».

---

(٧) انظر د. نيز اسكاربيك «أدب الطفولة والشباب» ترجمة: د. نجيب غزاوي ـ مراجعة عيسى عصفور ـ منشورات وزارة الثقافة دمشق سنة ١٩٨٨ صفحة ١٣٦.

(٨) Mary Ann Powlin Creative Uses of Children's Lirerature with aforeword by Dr. Marilyn Miller Printed in the United states of America P.169-170.

(٩) انظر د. عماد زكي مقال «أفلام الصور المتحركة ودورها في حياة الأطفال» كتاب العربي ٢٣ الطفل العربي والمستقبل ١٥ ابريل سنة ١٩٨٩م ـ الكويت.

وهنا نلفت النظر ـ مع غيرنا من الداعيين ـ إلى خطورة اعتماد الإذاعة المرئية في عالمنا العربي والإسلامي على الرسوم المتحركة الأجنبية، تلك الرسوم التي تجسِّد قصصاً أجنبية مستوحاة من بيئات غير عربية وغير إسلامية، ولا تنسجم أفكارها مع تقاليدنا وأعرافنا، وما ورثناه من صالح تراثنا الذي حافظنا عليه إلى اليوم، وصانه اللاحقون خلفاً عن سلفاً من أجدادنا، مما يصون إنسانية الإنسان، ويدعم شخصيته، لا سيما في مرحلة النشأة، مما يستوجب على القادرين والمؤهلين من الكُتّاب المبدعين والتقنيين، أن يتعاونوا في هذا المجال، لتقديم أدب الأطفال الذي ينسجم مع تقاليدنا وأعرافنا الإسلامية، ولا يبعد أطفالنا عن الحياة ومتغيراتها.

لكننا في الوقت نفسه ندعو إلى الاستفادة من مختلف الأشكال الفنية لأدب الأطفال، ووسائل التجسيد فيها، وأن توظف لتصل أطفالنا بديننا، وتراثنا وفكرنا وحياتنا المتجددة، وقيمنا الأصيلة، خلال أدب حي للأطفال، لا يغفل الماضي ولا يتجافى عن الحاضر، وإنما يصل بينهما باتزان واعتدال، وينتقل بأطفالنا إلى رؤية مستقبلية تحقق لهم نماء الفكر، وخصوبة الوجدان، واتساع الخيال، ورقي الذوق، وفاعلية المواجهة للقضايا، كما تصل بهم إلى مرحلة الرشد في أمن وأمان.

أهمية أدب الأطفال الإسلامي

طفل اليوم رجل الغد، عليه تعتمد الأُمة، وبه يشتد ساعدها، عندما توكل إليه مسؤوليات بنائها، من هنا كان الاهتمام بتنشئة أطفالنا تنشئة إسلامية تهيئهم لأداء هذا الدور العظيم، وهذا يوضح لنا سر اهتمام الدين الإسلامي بتربية هؤلاء الأبناء، وسلامة تنشئتهم: أجنة وأطفالاً.

ولتحقيق هذا الهدف تعددت الاهتمامات بالطفل، من دراسات نفسية تربوية لمراحل نموه، لتحديد احتياجاته التي يمكن أن تشبع، وتصور اهتماماته التي يجب أن تلبى، ومشكلاته التي نحاول أن نعينه على تجاوزها، وتبصيره بحلولها ذاتياً، أو بمعاونة غيره، ومستوى خياله الذي يجب أن ينمو، والقيم والمثل الإسلامية التي نستطيع أن نؤصلها ونغرسها في نفسه، ومواهبه التي يمكن صقلها وإثراؤها.

وقد أعانت البحوث التربوية والنفسية بمتغيراتها على النهوض بذلك، فتعددت المؤسسات المحلية والدولية[١٠] التي تولي الطفل عنايتها، كما وظفت أحدث الوسائل التكنولوجية في مجالات التربية والتعليم والإعلام، لإنجاح هذه الأهداف، وتعددت الدراسات التي تولي ذلك أقصى الاهتمام.

من ثم فقد برز أدب الأطفال الإسلامي كوسيلة حضارية إنسانية، لتحقيق بناء

---

(١٠) يعتبر المجلس العربي للطفولة من أحدث المؤسسات الدولية وقد أنشىء سنة ١٩٨٧م ومقره القاهرة، بجانب كثير من الأنشطة الدولية التي قادتها هيئة الأمم المتحدة ومؤسساتها في العالم كله.

طفل اليوم ورجل المستقبل، لا سيما والأدب الإسلامي بفنونه المختلفة من قصة ومسرحية ونشيد وغيرها غنية بوسائل التأثير وجذب الانتباه، قادرة بمزاياها الفنية والنفسية على أن تشبع اهتمامات الطفل، وتلبي احتياجاته، وتقدم له الغذاء النفسي والفكري الذي يرقى به وينميه، فيتحول من حالة الفردية التي يتمركز فيها حول ذاته إلى كائن اجتماعي يغمر الآخرين بعطائه، كما يمكن لأدب الأطفال الإسلامي أن يقدم بعض المعلومات العلمية والفنية والخلقية، من خلال ما يتوافق مع استعدادات الطفل وميوله نحو اللعب، والاكتشاف بنفسه، وترك الحرية له في اختيار ما يجذبه، وما يحبه كي لا تتم عملية التطبيع أو التثقيف بشكل ضاغط يكبت الميول. . . أو بشكل تلقيني وعظي ينفر[11]. . .

وهكذا يتحول الطفل من المتعة إلى الاحتمال، ومن الاحتمال إلى المشاركة الوجدانية، ومن المشاركة الوجدانية إلى الإحساس العقلي بشعور الآخرين، وهكذا يسهم «أدب الأطفال الإسلامي» في خلق الطفل المثابر المخلص الاجتماعي المتعاون[12]، ومن ثم نرسي الدعائم والقواعد الأساسية، التي يبني عليها التنظيم العام لشخصية الكبير، فيما يسمى بالسنوات التكوينية[13].

إن الأجناس الأدبية «لأدب الأطفال الإسلامي» تستطيع في هذه المرحلة التكوينية، أن تسهم في نقل المعرفة إلى الطفل، بل والتجارب البشرية، كما تتجاوز وظيفتها زيادة الثروة اللغوية إلى تنمية الإحساس بجمال الكلمة، وقوة تأثيرها، وتعينه على فهم التطور البشري بطريقة غير مباشرة، ويمكن أن تكشف له عن سر الحقيقة

(١١) ذكاء الحر: «الطفل العربي وثقافة المجتمع» دار الحداثة ـ لبنان بيروت ط سنة ١٩٨٤م صفحة ٣٣.

(١٢) د. علي الحديدي في «أدب الأطفال» ط ٢ سنة ١٩٧٦ ـ مكتبة الأنجلو ـ القاهرة صفحة ٦٢.

(١٣) د. محمد عماد الدين إسماعيل «الأطفال مرآة المجتمع» سلسلة عالم المعرفة ـ العدد ٩٩ ـ الكويت، سنة ١٩٨٦م صفحة ٥.

والجمال، فيتفاعل معهما، وهكذا يصبح أكثر قبولاً للحياة ومتغيراتها والتكيف معها، بل وقيادتها، وبذلك يستطيع أن يؤدي دوره المستقبلي بتحقيق الأهداف المنوطة به في بناء أمته ومستقبله.

ولا شك أن لأدب الطفل وما يتمتع به من تجسيد دوراً هاماً في غرس كثير من قيم الدين ومبادئه، التي تدعم شخصية الطفل، وتعزز ولاءه لأمته وأهدافها والحفاظ عليها، كما تدعم قوة انتمائه إليها.

وذلك للعلاقة الوثيقة بين الكلمة والمعتقد في الإسلام، وهذا مما يبني الحياة ولا يهدمها، لأن الانفصال بين هذين الجانبين يجعل الحياة جحيماً لا يطاق، إذ تفقد قيمتها، باختفاء الصدق والخير فيها، بينما الالتحام والاتصال بين الكلمة والمتعتقد وتوافقهما، يحفظ للحياة فاعليتها بقيمها ومبادئها، وتتناغم الحركة الاجتماعية فيها.

ويتجلى المجتمع المسلم الذي يستطيع ـ عن كفاءة واقتدار ـ أن يحمل الرسالة الخالدة ﴿**يأيها الذين آمنوا لِمَ تقولون ما لا تفعلون؟ كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون**﴾[١٤].

وبذلك تتضح فاعلية الفن في الحياة، كما يبرز دوره البناء في إقامتها على أسس سليمة صحيحة، وهو دور يتجاوز كونه وسيلة للترفيه وتزجية الوقت، ليصبح تعبيراً صادقاً عن العقيدة والحياة، معبراً عن آمال الفرد والمجتمع، مجسداً لما بين البشر من محبة وتعاطف وتعاون، داعماً لما بينهم من تراحم وتواصل، كاشفاً عمّا في هذه الحياة السوية من انسجام ووفاق وإخاء محققاً السعادة والأمن لكل من فيها، وما فيها[١٥].

---

(١٤) د. نجيب الكيلاني «أدب الأطفال في ضوء الإسلام» صفحة ١٠٥.

(١٥) السابقة نفسه صفحة ١٠٥.

وفي اتصال الأطفال بهذا الأدب تشكيل لوجداناتهم وصقل لمشاعرهم، وتنشئتهم نشأة سوية صالحة، إذ يألفون الحق والجمال والخير، وذلك أفضل أساس لحياتهم، لا سيما إذا استمر اتصالهم السوي به، وارتباطهم بقيم الدين ومبادئه بعيداً عن زيف الخرافات والانحرافات، والأفكار الضالة المضلة، التي يدسها أعداء الإسلام والمسلمين، وهكذا يصطبغ فكرهم بالمنهج الإسلامي، ويتسم سلوكهم بالطابع الإسلامي.

من ثم فإن أدب الأطفال يجب أن ينهض بما يدعو إليه الإسلام من قيم ومبادىء؛ كحب العلم، وأن السعادة في رضا الله وتقواه وليس في التعلق بالمستحيلات، والسلبية في مواجهة المشكلات والاعتماد على مصباح علاء الدين أو خاتم سليمان، وإنما العمل الجاد هو الذي يحقق الآمال والطموحات.

وفي الوقت نفسه لا بد أن ينمي هذا الأدب خيالهم، ويطلق تفكيرهم وتصوراتهم بصورة بناءة، وليس مجرد تهويم وأوهام، كما يجب أن يسهم في تحقيق الاستقرار والتوازن النفسي لهم، بما يقدم لهم من مسرحيات وقصص ومنظومات شعرية، ذات أبنية فنية تحقق المتعة، وتثري عقولهم بالمبادىء التي أشرنا إليها سابقاً، ففي ذلك عون لهم على فهم الحياة، فهماً سوياً.

المفهوم. . . والخصائص

إذا كان أدب الأطفال بمعناه العام، يعني الإنتاج العقلي المدون في كتب موجهة لهؤلاء الأطفال، في المقررات الدراسية أو القراءة الحرة، فإننا هنا نهتم بأدب الأطفال الإسلامي بمعناه الخاص، الذي يتضمن الكلام الجيد الجميل الذي يحدث في نفوس هؤلاء الأطفال متعة فنية، كما يسهم في إثراء فكرهم، سواء أكان أدباً شفوياً بالكلام، أم تحريرياً بالكتابة، وقد تحققت فيه مقوماته الخاصة من رعاية للتصور الإسلامي ولقاموس الطفل، وتوافق مع الحصيلة الأسلوبية للسن التي يكتب لها، أو اتصل مضمونه وتكنيكه بمرحلة الطفولة التي يلائمها، ومن أنواعه القصص والمسرحيات والأناشيد والأغنيات(١٦)، وقد سبق أن أشرنا إلى أهمية وسائل التجسيد الفني في هذا الأدب ودورها الهام في تحقيق فعالياته وإيجابيته بالنسبة لهؤلاء الأطفال.

وهذا الأدب يعتبر جزءاً من عالم الأدب الأكبر، ويمكن كتابته، وقراءته، ودراسته، وتحليله، وتعلمه، وشيوعه بنفس الطريقة كأدب الكبار(١٧)، ولكن هل يوجد نوع من الكتابة خاص بالأطفال، مناسب لهم؟ نعم، ولكن مفهوم كلمة «مناسب» يتخذ دلالات عدة، لعل أولها التناسب الأخلاقي الإسلامي، فهناك بعض الموضوعات التي يجب أن نقي أطفالنا منها، وأن نحافظ عليهم ضدها، كبعض آراء البالغين والكبار التي قد تفسد أخلاق هؤلاء الأطفال، أو تكون غير سارة، أو

---

(١٦) انظر أحمد نجيب «أدب الأطفال والتربية الإبداعية» الحلقة الدراسية الإقليمية لعام ١٩٨٧ حول الندوة العلمية لأدب الطفل والقراءة ١٠، ١١ ديسمبر ١٩٨٧م صفحة ٦٧، ٦٨، وكذلك انظر هادي نعمان الهيتي «ثقافة الأطفال» صفحة ١٥٥ وكذلك انظر د. علي الحديدي «محنة أدب الأطفال» كتاب العربي ٣٣-١٥ ابريل ١٩٨٩ صفحة ١٦٩.

(١٧) Margarit R. Marshall An Introduction to the world at children's Books 2nd Edition P.60.

جنسية[١٨]، وبصفة عامة تغفل التصور الإسلامي للكون والحياة.

وقد يكون المراد بالتناسب هنا المقام التعليمي، إذ نجد بعض الأشكال الأدبية أو النماذج الفنية تتجاوز مستوى الأطفال الفكري، لعمق القضايا المتضمنة، أو لارتفاع أساليب التعبير، مما يتطلب مستوى قرائياً معيناً يرتبط بتطور الطفل الفكري، وخبرته المحتملة بالأماكن والناس والأحداث والمشاعر[١٩].

وإذا كان الأدب الإسلامي يتخذ من الكلمة وسيلة للتعبير الجميل. فيحقق غايات لعل من أهمها ترسيخ العقيدة وثراء الفكر ومتعة الوجدان، فإن أدب الأطفال يتجاوز هذا المفهوم من حيث الوسائل، وإن كان يشترك معه في الغايات، أما من حيث الوسائل التعبيرية لأدب الطفل فمنها الكلمة والنغمة والرسم والصورة متحركة وثابتة ـ كما أشرت من قبل ـ، وقد تنفرد الأخيرة بكتب الطفل في سنيه الأولى، لتصبح الوسيلة الأثيرة لديه، والمناسبة لحمل بعض الأفكار التي يمكن أن تستثير عقله وتثري وجدانه، فتحرك استجاباته للتلقي والمشاركة بإيجابية فيما حوله، وما يعرض عليه، إذ يعرض أدب الطفل عليه ما يشبع اهتماماته ويرضي حاجاته ويواكب نموه وما يتطلبه، كما يعكس له مشكلاته، ومشكلات مَنْ هم في مثل سنه، ويعينه على استبصار الحلول لهذه المشكلات برفق وهوادة، فيتغلب على ما يقلقه، أو يخفف من توتراته في مواجهة المواقف المختلفة، كما يهيء له في يسر وسهولة فرص الاستمتاع بما في الكون من عجب وجمال وجلال[٢٠]، ويتدرج ذلك حسب نمو الطفل العقلي، ومدى استعداده لتقبل المتغيرات، وإدراك بعض جوانب قدرة الخالق فيما أبدع، دون أن نتجاوز به حدود الخبرة الدارجة، سواء كان هذا الأدب

---

(١٨) السابق نفسه صفحة ٦١.

(١٩) السابق نفسه والصفحة نفسها.

(٢٠) انظر محمد محسن الصاوي كتاب «الموسم الثقافي» ١٩٨٥/٨٤ معهد التربية للمعلمين بالكويت سنة ١٩٨٦ من صفحة ٩١ إلى صفحة ١٢٣.

مرتبطاً بتجاربه الحسية وخبراته المباشرة، وما تقدمه له الحياة من الوقائع اليومية المألوفة في بيته، أو كان أدباً يحاول الامتداد إلى ما وراء حدود الواقع دون أن يتجاوز المستوى المعرفي المألوف لإدراكاته، بغية تنمية خيال الطفل، أو كان أدباً يعكس الجديد في العالم ليستثير في الطفل رؤية أبعاد جديدة لهذا العالم فيما يسمى بأدب الخيال العلمي، وتمثل مبادىء الدين الإسلامي أهم الركائز التي يجب أن تحملها المضمونات التي يقدمها هذا الأدب الإسلامي.

ويمكن أن نشير في ضوء ما سبق إلى بعض خصائص أدب الأطفال التي توصلت إليها كثير من الدراسات والبحوث النفسية، بحيث إذا توفرت هذه الخصائص في الأعمال الأدبية، فإنها يمكن أن تجذب انتباه الأطفال، وتحظى بإقبالهم، ومحبتهم، وتؤثر بقوة في عقولهم ووجداناتهم، وبرغم أنها خصائص عامة، لكنها تتفاوت في الدرجة حسب نمو الطفل وسني حياته.

ويمكن أن يكون التقسيم الثلاثي لفترة الطفولة؛ من مبكرة إلى متوسطة ثم متأخرة، أجدى في بيان الخصائص النفسية والفنية لما يجب أن تكون عليه كتب أدب الأطفال، لكل مرحلة من هذه المراحل الثلاث، لأن تقسيم هذه الخصائص حسب سنوات الطفولة عاماً بعد عام قد لا يكون دقيقاً، فهناك بعض الأطفال الذين قد يتجاوز عمرهم العقلي عمرهم الزمني، كما أن بعض الخصائص قد تتداخل وتمتد خلال أكثر من عام، ومن ثم فربما تتداخل مراحل هذا التقسيم.